



الحمد لله حمد الشاكرين، وصلواته على سيد المرسلين، محمد النبي الأمي وآلـه وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

إن الله سبحانه وتعالى قد بعث الأنبياء بشرعيته ليكونوا أدلة إلى الخير والصواب، فمن سلك غير سبيلهم فقد ضل عن الصراط السوي الذي ارتضاه الله {وَمَن يُشَاقِّ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهُ مَا تَوَلََّ وَنُصْلِلُهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: 115]، ذلك لأن الدين منهج الله، ولا يطبق إلى على وفق ما أراده الله تعالى، ليس للعقل اعتراض عليه ولا استدراك عليه بنزعة الهوى أو حجة التعديل المواقف للمصلحة أو العقل أو العصر أو غير ذلك.

فاتياب الهوى في مقابلة الشرع مذموم شرعاً وعقلاً وذلك لمحظوريـن اثنـين:

الأول: أن في ذلك إعراضاً وميلاً عن الشرع، وتمسكاً بغير المشروع، ولو كان شيئاً دون الهوى لهان ولكنه تمسك بالهوى الذي هو مصب كل فتنـة، ورأس كل مصيبة، وهذا يوصل إلى الشرك والعبـادـة باللهـ.

الثاني: أن فيه اعتراضـاً على الشرع واستدراكـاً وزيادة عليهـ، وقد أتم اللهـ نعمـته وأكـمل دينـه فلا مجال لهـوى النفسـ في شيءـ قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ بِيَنَّا} [المائدة: 3]، وهذا سـبيل الـبدـعةـ والـفـرقـةـ.

ولهـذا قال ابن الجوزـي رحـمه اللهـ: "فـمـطـلقـ الهـوىـ يـدـعـوـ إـلـىـ اللـذـةـ الـحـاضـرـةـ مـنـ غـيرـ فـكـرـ فـيـ عـاقـبـةـ، وـيـحـثـ عـلـىـ نـيـلـ الشـهـوـاتـ عـاجـلاـ وـإـنـ كـانـتـ سـبـباـ لـلـأـلـمـ وـالـأـدـىـ فـيـ العـاجـلـ وـمـنـعـ لـذـاتـ الـأـجـلـ، فـأـمـاـ العـاقـلـ فـإـنـهـ يـنـهـيـ نـفـسـهـ عـنـ لـذـةـ تـعـقـبـ أـلـمـ، وـشـهـوـةـ تـورـثـ نـدـمـاـ وـكـفـيـ بـهـذـاـ الـقـدـرـ مـدـحـاـ لـلـعـقـلـ وـذـمـاـ لـلـهـوىـ، وـقـدـ روـيـ عـنـ ابنـ عـباسـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـماـ أـنـهـ قـالـ: مـاـ ذـكـرـ اللـهـ عـزـ

وجل الهوى في موضع من كتابه إلا ذمه، وقال الشعبي: إنما سمي هوى لأنه يهوي بصاحبه". (ذم الهوى لابن الجوزي: (ص 18).

ولا شك أن اتباع الهوى ذريعة إلى الضلال والانحراف عن الدين، حيث وقد ذمه الله تعالى في كثير من الآيات في كتابه الكريم: فذم عالم بنى إسرائيل يقوله: {وَاتَّبَعُ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ} [الأعراف: 176]، وقال: {وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف: 28]. أي وكان أمره ظلماً واعتداء(التحرير والتنوير: (8/364).، فبها يكون سباقاً في الشر، غافلاً عن دواعي الخير، وقد لا يستشعر ذلك فكأنما هواد أعماه وأصمته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصممه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في الأمر ولا يطلبه، ولا يرضى لرضا الله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه، ويكون مع ذلك معه شبهة دين أن الذي يرضى له ويغضب له أنه هو السنة، وهو الحق، وهو الدين، فإذا قدر أن الذي معه هو الحق الممحض دين الإسلام، ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، بل قصد الحمية لنفسه وطائفته أو الرياء، ليعظم هو ويثنى عليه، أو لغرض من الدنيا لم يكن لله (منهج السنة النبوية: (5/256).

إن الهوى آفة تعترى المسلم فتفسد عليه معتقده ودينه بميالاته إلى ما تستلذه نفسه من الشهوات، وينبسط إليه من أمور الدنيا ما يخالف شرع الله، ولهذا يقول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} [الأنعام: 159]، قال بعض المفسرين: صاروا فرقاً لاتبع أهوائهم، وبفارق الدين تشتبث أهواهم فافترقوا وهو قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً} ثم برأ الله نبيه بقوله: {لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} وهم أصحاب البدع والكلام فيما لم يأذن الله فيه ولا رسوله (الموافقات للشاطبي: (4/111)..

وقال علي رضي الله عنه: إن أخوف ما أخوف عليكم اثنان: طول الأمل، واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسى الآخرة، وأما اتباع الهوى فيقصد عن الحق، ألا وإن الدنيا قد ولت مدبرة، والآخرة مقبلة، ولكل واحدة منها بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل(فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: (2/362).

نعم عباد الله، إن الهوى يصد عن الحق، ويعمى البصيرة ويفوغى المرء حتى لا يرى عمله إلا خيراً وإن كان مخالفًا للهدي، وإن كان مجانباً للصواب، ويفيد هذا ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاث منجيات، وثلاث مهلكات، فأما المنجيات: فتقى الله في السر والعلانية، والقول بالحق في الرضا والسطح، والقصد في الغنى والفقر، وأما المهنكات: فهو متابع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه، وهي أشدهن) (شعب الإيمان للبيهقي: (15/300) وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم: (3039) ..

وهذا منه صلى الله عليه وسلم تصريح بنجاة العبد أو هلاكه في تلك الأمور، وقد قدم الهوى المتبوع في أول المهنكات؛ لما له من الخطير العظيم، والله عز وجل قد بين أن اتباع الهوى سبب في الهوى في الشهوات والانغماس في وحل الضلال وترك الحق، كما قال جل شأنه في أولئك المشركين الذين أعرضوا عن دين الله الذي جاء به سائر الأنبياء: {وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبَعُ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْلَمْ يَكُفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلِ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَأَ وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ * قُلْ فَأَتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَتْعَهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * إِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاقْعُمْ أَنَّمَا يَتَبَعُونَ أَهْوَاءُهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [القصص: 47-50].

وبهذا البيان من الله يتضح مدى انحراف الناس عن الحق ومجانبتهم إياه، وأنهم لو أصابتهم مصيبة ببرروا لأنفسهم بأنه لم يُرسِّل إليهم رسولٌ، ولو أرسل لامنوا، فلما جاءهم الحق من عند الله والقرآن العظيم اعترضوا واشترطوا أن يكون كما كان الذي مع موسى! أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل؟! وهما يقولون في القرآن والتوراة هما سحران تعادنا في إضلال الناس!

سبحان الله! ثبت بهذا أن القوم يريدون إبطال الحق بما ليس ببرهان، وينقضونه بما لا ينقض، ويقولون الأقوال المتناقضة المختلفة، وهذا شأن كل كافر. ولهذا صرَّ أئمَّهم كفروا بالكتابين والرسولين، ولكن هل كفرهم بهما كان طلباً للحق، واتباعاً لأمرٍ عندهم خير منها، أم مجرد هوى؟ قال تعالى ملزماً لهم بذلك: {فَأَتُوا بِكِتابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا} أي: من التوراة والقرآن {أَتَبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ولا سبيل لهم ولا لغيرهم أن يأتوا بمثلهما، فإنه ما طرق العالم منذ خلقه الله، مثل هذين الكتابين، علمًا وهدىً وبيانًا، ورحمةً للخلق.

وهذا من كمال الإنفاق من الداعي أن قال: أنا مقصودي الحق والهدى والرشد، وقد جئتكم بهذا الكتاب المشتمل على ذلك، الموافق لكتاب موسى، فيجب علينا جميعاً الإذعان لهما واتباعهما، من حيث كونهما هدىً وحقاً، فإن جئتمني بكتاب من عند الله هو أهدي منهما أتبعته، وإن فلا أترك هدىً وحقاً قد علمته لغير هدىً وحق {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبُوا لَكَ} فلم يأتوا بكتاب أهدي منهما {فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَبَعُونَ أَهْوَاهُمْ} أي: فاعلم أن تركهم اتباعك، ليسوا ذاهبين إلى حق يعرفونه، ولا إلى هدى، وإنما ذلك مجرد اتباع لأهوائهم. {وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ أَتَبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدَىٰ مِنْ اللَّهِ} فهذا من أضل الناس، حيث عرض عليه الهدى، والصراط المستقيم، الموصل إلى الله وإلى دار كرامته، فلم يلتفت إليه ولم يقبل عليه، ودعاه هواه إلى سلوك الطرق الموصلة إلى الهلاك والشقاء، فاتبعه وترك الهدى، فهل أحد أضل من هذا وصفه؟ ولكن ظلمه وعدوانه، وعدم محبته للحق، هو الذي أوجب له أن يبقى على ضلاله ولا يهديه الله، فلهذا قال: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْفَقْمَ الظَّالِمِينَ} (تفسير السعدي: 1/617).

ولا نزاع في أن من اتبع الهوى صار مخالفًا للشرع؛ لأن العقل إذا لم يكن متبوعاً للشرع لم يبق له إلا الهوى والشهوة، وأنتم تعلمون ما في اتباع الهوى وأنه ضلال مبين، ألا ترون قول الله تعالى: {يَا ذَاوَدُودُ إِنَّ جَعْلَنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَبَعِ الْهَوَى فَيُضَلِّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضْلِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} [سورة ص: 26]. فحصر الحكم في أمرين لا ثالث لهما عنده وهو الحق والهوى وعزل العقل مجرداً إذ لا يمكن في العادة إلا ذلك، وقال: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلَنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ} [الكهف: 28]. فجعل الأمر محصوراً بين أمرين: اتباع الذكر، واتباع الهوى، وقال: {وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ أَتَبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدَىٰ مِنْ اللَّهِ} [القصص: 50]. وهي مثل ما قبلها، وتأملوا هذه الآية فإنها صريحة في أن من لم يتابع هدى الله في هوئ نفسه، فلا أحد أضل منه، وهذا شأن المبتدع؛ فإنه اتبع هواه بغير هدى من الله، **وهدى الله هو القرآن وما بينته الشريعة وبينته الآية أن اتباع الهوى على ضربين:**

• **أحدهما:** أن يكون تابعاً للأمر والنهي فليس بمدحوم ولا صاحبه بضال، كيف وقد قدم الهدى فاستنار به في طريق هواه، وهو شأن المؤمن التقى.

• **والآخر:** أن يكون هواه هو المقدم بالقصد الأول، كان الأمر والنهي تابعين بالنسبة إليه أو غير تابعين وهو المدحوم، وهذا هو اتباع الهوى في التشريع، إذ حقيقته افتراء على الله، وقد قال جل شأنه: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنِ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ} (23) سورة الجاثية. أي لا يهديه دون الله شيءٌ وذلك بالشرع لا بغيره وهو الهدى الاعتصام للشاطبي: (1/51 – 52) بتصريف.

وأختم بكلام لشيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله حيث قال: **أتباعُ الضلال: وأضلُّ الضلال**: اتباعُ الظن والهوى كما قال الله تعالى في حق من

ذمَّهُمْ: {إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوِي الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءُهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى} [النجم: 23]، وقال في حق نبيه صلى الله عليه وسلم: {وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطَقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: 1-4] فنזהه عن الضلال والغواية للذين هما الجهل والظلم، فالضالُّ هو الذي لا يعلم الحق، والغاوي الذي يتبع هواه. وأخبر أنه ما ينطق عن هوئ النفس، بل هو وحي أواه الله إليه فوصفه بالعلم ونזהه عن الهوى. (مجموع فتاوى ابن تيمية: 3/384).

أيها الحريصون على اتباع الهدى، إذا كان الأمر بهذه الحال من أنه إما شرع وإما هوى، ومن اتبع الهوى فلا أضل منه، علم قطعاً أن العقل ليس له مجال في:

تشريع أحكامٍ تخالف ما شرع الله، ولا بوضع قانون مقابل لحكم الله، ولا قبل لتنازل في معلوم من الدين بحجة مصلحة، ولا زيادة في أمر من أمور العبادة، أو تحريف لكتاب الله، أو تغيير لحدود الله، أو استدراك على شرع الله، أو تفسير كتاب الله وفق الهوى، أو تطبيق الشريعة بما يوافق انحرافات العصر، أو تهويش شأن المبادئ الإسلامية وتقليلها وتسهيل أمرها.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا ابتعاه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المصادر: